قضايا الأدب والأدباء

سارتر وجائزة نوبل

نشرت الصحف السويدية نص مقابلة صحفية ادلى بها جان بول سارتر بعد رفضه جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦٤ ، وهذا هو نص حديثه الذي يفسر فيه اسباب رفضه الجائزة :

« انني آسف ان تكون القضية قد اتخذت مظهر فضيحة : لقد منحت جائزة فرفضتها . وكل ما في الامر انني لم ابلغ في وقت مبكر ما كان يهيأ . وحين رأيت في جريدة « الفيغارو ليتيرير » بتاريخ ١٥ تشرين الاول ، بتوقيع مراسل الجريدة في السويد ، ان اختيار الاكاديمية السويدية كان متجها نحوي ، ولكنه لم يؤكد بعد ، تصورت انني اذا كتبت رسالة للاكاديمية ، كان بامكاني ان اضع النقاط على الحروف وان الحديث عن هذا ينقطع نهائيا . وهكذا فعلت ، وارسلت رسالتي في اليوم التالي .

وكنت اجهل آنذاك ان جائزة نوبل تمنح من غير اخذ رأي المعني، وكنت اعتقد ان الاوان قد آن لمنع ذلك . ولكني افهم الا تتمكن الاكاديمية السويدية ، حين تختار شخصا ، من ان تتراجع عن ذلك .

والاسباب التي من اجلها اعتذر عن قبول الجائزة لا تتعلق لا بالاكاديمية السويدية ، ولا بجائزة نوبل نفسها ، كما شرحت الامر في الرسالة الموجهة الى الاكاديمية . وقد شرحت فيها طائفتين من الاسباب: اسباب شخصية واسباب موضوعية .

اما الاسباب الشخصية فهي التالية : ان رفضي ليس عملا مرتجلا، فقد سبق ان رفضت دائما التكريمات الرسمية . فحين عرض علي بعد الحرب ، عام ١٩٤٥ ، وسام جوقة الشرف ، رفضت بالرغم من انه كان لي اصدقاء من الوزراء .وكذلك لم ارغب يوما في دخول « كولج دو فرانس » كما اوحى لي بعض اصدقائي انافعل .

وهذا الموقف قائم على مفهومي لعمل الكاتب . ان الكاتب الذي يتخذ مواقف سياسية واجتماعية او ادبية ينبغي الا يعمل الا بوسائله ، اي الكلمة المكتوبة . وجميع التكريمات والامتيازات التي يمكن ان يتلقاها تعرض قراءه لضغط لا اعتبره مرغوبا فيه . وليس الامر سواء اذا وقعت « جان بول سارتر » واذا وقعت « جان بول سارتر ، الحائز على جائزة نوبل » .

ان الكاتب الذي يقبل اكراما من هذا النوع ، يلزم الجمعية او المؤسسة التي كرمته : فان تعاطفي مع رجال المقاومة الفنزويليين مثلا لا يلزم سواي ، بينما اذا انحاز الحائز على جائزة نوبل جان بول سارتر الى المقاومة الفنزويلية ، فانه يجر معه جائزة نوبل برمتها ، بصفتها مؤسسة .

وعلى هذا ، فانه ينبغي للكاتب ان يرفض ان يتحول الى مؤسسة، حتى ولو تم ذلك بأفضل الاشكال تشريفا وتكريما ، كما هو الحال .

وهذا الموقف هو بالطبع موقفي وحدي ، ولا يحتمل اي نقد للذين سبق ان توجوا بالجائزة ، وانا اكن كثيرا من الاحترام والاعجاب لعدد من الفائزين الذين تشرفت بمعرفتهم .

واما اسبابي الموضوعية فهي التالية :

ان المعركة الوحيدة الممكنة حاليا في الجبهة الثقافية هي من اجل التعايش السلمي بين الثقافتين ، ثقافة الشرق وثقافة الغرب . وانا لا اقصد ان من الواجب ان تتعانق الثقافتان ، فانا اعرف جيدا ان المجابهة بينهما يجب بالضرورة ان تتخذ شكل صراع ، ولكن يجب ان تقوم بين البشر والثقافات ، من غير تدخل المؤسسات .

وانا شخصيا اعاني معاناة عميقة من التناقض بين الثقافتين : وانا مصنوع من هذه التناقضات . ان ميلي يتجه من غير شك الى الاشتراكية والى ما يسمى كتلة الشرق ، ولكني ولدت وربيت في اسرة بورجوازية وثقافة بورجوازية . وهذا يتيح لي ان اتعاون مع جميع الذين يريدون تقريب الثقافتين . على اني ارجو طبعا ان « يربح الافضل » ، اي الاشتراكية .

من اجل هذا لا يسعني ان اقبل اي تكريم توزعه المحاكم الثقافية العليا ، لا في الشرق ولا في الغرب ، حتى ولو كنت ادرك تماما سبب وجودها . وبالرغم من ان ميولي واضحة الاتجاه نحو الاشتراكية فاني لا يسعني كذلك ان اقبل مثلا جائزة لينين اذا اراد احد ان يمنحني اياها، وهذا ليس هو الحال .

وانا اعلم جيدا ان جائزة نوبل في ذاتها ليست جائزة ادبية للكتلة الغربية ، ولكنها تصبح ما يفعل بها ، ويمكن ان تقع احداث ليس اعضاء الاكاديمية السويدية هم الذين يقررونها .

من اجل هذا ، تبدو جائزة نوبل ، في الوضع الراهن ، اشبه بتكريم مخصص لكتاب الغرب ولعصاة الشرق . فمثلا لم يظفر بها نيرودا الذي هو احد كبار شعراء اميركا الجنوبية . ولم يتحدث ما نحو الجائزة اي حديث جدي عن لويس اراغون الذي يستحقها مع ذلك كل الاستحقاق . ومن المؤسف ان تعطى الجائزة لباسترناك قبل ان تعطى لشولوخوف ، وان يكون الاثر السوفياتي الوحيد الذي توجته اثرا قد طبع في الخارج ومنع في بلد المؤلف الاصلي . وقد كان بالامكان اقامة توازن ببادرة مشابهة في الاتجاه الاخر . وفي حرب الجزائر ، حين وقعنا « بيان الـ ١٢١ » كنت اقبل الجائزة بعرفان الجميل لو منحتها ، لانها آنذاك لن تكون مشرفة لي وحدي بل للحرية التي كنا نناضل من اجلها . ولكن هذا لم يحدث ، وانا لا اعطى الجائزة الا بعد انتهاء المعركة .

ان في تعليل اسباب الاكاديمية السويدية لمنح الجائزة اشارة الى الحرية : وهذه كلمة تدعو الى تفسيرات عديدة . فليس المقصود بها في الغرب الا حرية عامة : اما انا فأفهم بها حرية محسوسة تتلخص بحق المرء في ان يملك اكثر من زوج جرابات وان يأكل حتى الشبع . ويبدو لي اقل خطرا ان ارفض الجائزة من ان اقبلها . فاذا قبلتها ، اعرض نفسي لما اسميه « استردادا موضوعيا » . وقد قرأت في مقال « الفيغارو ليتيرير » انني « لن احاسب على ماض سياسي هو موضع جدال ونقاش » وانا اعلم ان هذا المقال لا يعبر عن رأي الاكاديمية ، ولكنه يظهر في وضوح الاتجاه الذي سيفسر به قبولي للجائزة في بعض اوساط اليمين . وانا اعتبر هذا « الماضي السياسي الذي هو موضع جدال ونقاش » ما يزال صالحا ، حتى ولو كنت مستعدا ان اعترف ببضعة اخطاء ارتكبت وسط رفاقي .

ولست اقصد بهذا ان جائزة نوبل هي جائزة « بورجوازية » ، ولكن هذا هو التفسير البورجوازي الذي ستقدمه بلا ريب اوساط اعرفها جيدا .

واخيرا ، اتطرق الى موضوع المال : وهو شيء ثقيل جدا تضعه الاكاديمية على كتفي الفائز حين ترفق التكريم بمبلغ ضخم ، وقد بلبلتني هذه القضية . فاما ان يقبل المرء الجائزة ويستطيع بالمبلغ ان يساعد منظمات او حركات يعتبرها هامة : وقد فكرت شخصيا بلجنة « ابارتيد » في لندن .

واما ان يرفض الجائزة بسبب مباديء عامة ، فيحرم هذه الحركة من مساعدة هي محتاجة اليها . ولكني اعتقد ان هذا اشكال مزيف . انني ارفض طبعا مبلغ الـ ٢٥٠ الف كورون لانني لا اريد ان اصبح مؤسسة ، لا في الشرق ولا في الغرب . ولكن ليس بالامكان كذلك ان

يطلب من انسان أن يرفض ، مقابـــل ٢٥٠ الف كورون ، مبادىء ليست هي مبادئه وحده ، وانما يشاركه فيها جميع رفاقه .

وهذا ما جعل منحي الجائزة ورفضي لها في وقت واحد امريـــن شافين على حد سواء .

واود أن انهي هذا التصريح بتحية ود الى الجمهور السويدي »

ردود الفعـــل الاجنبية

هذا هو نص التصريح الذي سلمه الفيلسوف الفرنسي سارتـــر لناشره السويدي « كارل غوستاف بجورستروم » في السفارة السويدية في باريس ، فنقله هذا الاخير الى الصحف السويدية . وقد قال سارتر انه فضل هذه الصيغة ليتفادى ما قـــد يحدثه مؤتمر صحفي مـــن سوء التفاهم .

وقد نشرت جريدة « راجانس نيهتر » السويديـة نص التصريح ، وخصصت واحدا وعشرين عمودا من صحيفتها لمعالجة « قضية جائـــزة نوبل وسارتر » . وقد كتب مدير الجريدة مقالا افتتاحيا اثنى فيه علـى الكاتب الفرنسي وهنأه لانه « لم يميز ولم يفصل بين اعماله واقواله ، ولم يتنازل عن طبعه كـ « ذئب متوحد » ليحضر المآدب ويسلي فئـــة « السنوب » في عالم الادب واضافت الجريدة ان جائزة نوبل تنتسب الى عالم شكلي ، اجوف ، لا معنى له » .

وتعليقا على مبلغ الجائزة ، قالت الجريدة : « ان المال ، بالنسبة لسارتر ليس اكثر من حبات رمل ينثرها على « سيمون » الجميلـــة (وتقصد سيمون دوبوفوار !) اما ردود فعل اعضاء الاكاديمية السويدية فلم تظهر حتى الان . غير ان السكرتير الدائم قد اوضح ان المبلغ (الذي يعادل ما يزيد عن ٥٣ الف دولار) فسيعود الى مؤسسة نوبل ، وفـــق قوانينها الجارية .

وصرحت جريدة « ستوكهلم تيدنيجن » في ستوكهلم بانها تقـــر تماما رفض سارتر للتكريمات وطرحه كل ما هو « على الموضة » . وقالت: « ان موقفه تعبير عن ايمان بهذه الجموع المغفلة التي ناضل من اجـــل حريتها . وليس غريبا ان يرى في جائزة نوبل للادب تعريفا غير صحيح لنفسه » .

اما صحيفة « سفانسكا دافبلاديت » السويدية فقد عبرت عـــن قلقها « للسابقة الخطرة » التي خلقها سارتر ، وقالت : « اذا عمد كتاب اخرون من وزن سارتر واهميته الـــى رفض الجائزة فـــي المستقبل ، فستجد الاكاديمية السويدية نفسها في وضع مرتبك » .

وكتبت جريدة « التايمس » اللندنية المحافظة تقول : « ان منـــح جائزة رسمية يعني غالبا ان المؤلف قد كتب خير كتبه ، وان عظمـــة هادئة تحل عنده محل التمرد ... ولا شك في أن رفض سارتر يشير الى ان مؤلف « الكلمات » يخشى أن يوصف قبل الاوان بانـــه شيخ الادب المسن » .

وقالت « الديلي تلغراف » اللندنية : « اذا كان الاسلوب قد اتخذ مقياسا ، فان جان بول سارتر لن يكون فائزا متميزا بالنسبة للذيـــن فازوا بجائزة نوبل » .

وخصصت الصحف الفرنسية مكانا بارزا للتحدث عـــن مواقف سارتر السياسية والادبية ولم يصدر معظمها حكما علـــى قرار مؤلف « دروب الحرية » برفض الجائزة . غير ان بيار هنري سيمون الناقـــد المعروف كتب يقول :

« ان اي وسواس من وساوس الصدق والامانة لا يجبر سارتـــر على رفض هذا الفار . فلقد توجت الاكاديمية السويدية كتابا وعلمـــاء من الشيوعيين ، بل من السوفيات ، ونعتقد ان سارتر الذي لا ينتمـــي الى الحزب الشيوعي لم يوفق في ان يعطيهم درسا في الثبات وعـــدم التغير . فهل يمكن لهذا النجاح الجديد ان يقنع سارتر بان المـــرء لا يستطيع تماما ان يتموضع خارج النظام الحضاري الذي ولد فيه ، وانه ليس ثمة في الحقيقة اي نظام ينتمي كل الانتماء الى الشر ؟ »

واما « الاومانيتيه » جريدة الشيوعيين الفرنسيين فقـــد اكتفت بأيراد تصريح سارتر الى الصحافة السويدية بلا أدنى تعليق . ولكـــن « اتحاد الكتاب السوفيات » في موسكو قد عبر بواسطة الناطقة باسمه السيدة « انغوردنيكوفا » عن دهشته للرفض : « اننا لا نعرف الاسباب التي دفعت سارتر الى هذا ، ولكن دهشتنا كبيرة ! »

وعقب اعلان منح الجائزة ، ظـــل الصحفيون الفرنسيون ساعـــات يطاردون سارتر من غير ان ينجحوا في لقائه . ولكن احد مذيعي الراديو تمكن من مقابلته وحصل منه على هذه العبارة : « لا شيء فـــي اليد ، لا شيء في الجيب » هذا هو شعاري الذي ينبغي ان يحمله كـــل اديب ملتزم » .

ردود الفعل العربية

وكتب صلاح عبد الصبور في « الاهرام » يقول ان الجائزة تأخرت عن اوانها سنوات طويلة ، حين نالها من هم دون سارتر مكانة في عالـم الادب والفكر ، وسارتر هو عبقري العصر الذي يتقدم اسمه اسم جميع الذين نالوا الجائزة منذ عشر سنوات . واضاف الكاتب يقـــول : « ان سارتر الى مكانته الادبية رجل مواقف يضع كل وزنه الادبي في كفـــة قضية الحرية والحق اينما كانت » وانهى مقاله بقوله : « لقد كان مخلصا حين رفض الجائزة » .

وفي جريدة « الجمهورية » القاهرية ، قال محمود تيمور ان سارتر قد اخطأ خطأ كبيرا برفضه لجائزة نوبل ، لانه قابل مجاملة وتقديـــرا « بسلوك لا مجاملة فيه ولا تقدير » .

وقال نجيب محفوظ : « لو كنت في منزلة سارتر ومستوى فكـره وعبقريته وتأثيره الشامل في العالم ، فاني كنت ارفض الجائزة بالطبع ، لانه لا يجوز ان يأخذها قبلي في تلك الحال ادباء كشتاينبك والبير كامو وونستون تشرشل ... » .

وقال الدكتور لويس عوض ان موقف سارتر من جائزة نوبل لا يمكن الحكم عليه بالصواب والخطأ وانما يمكن فقط الوقوف عند دلالاته . فمن الناحية العملية لم يفقد سارتر شيئا الا مبلغ ٢٠ الف جنيه استرليني. اما الجائزة ذاتها فسيذكر التاريخ انها عرضت عليه ثم رفضها ... وهذا الرفض يؤكد كرامة الاديب في كل بلد من بلاد العالم ، ويؤكد ان القرن العشرين فيه قيادات لا تخضع لاغراء المال .. وقد اثبت سارتر انـــه « رجل مواقف » بحق ، بل هو رجل مواقف القرن العشرين . ومنبـــع هذا هو نفس الفلسفة الوجودية التي يؤمن بها ، والتي تقوم على فكـرة تحمل الانسان ـ الجدير بصفة الانسانية ـ للمسؤولية عن كافة ابنـاء الجنس البشري .

وقال الدكتور مصطفى محمود تعليقا علـــى رفض سارتر الجائزة : يبدو ان المسألة كلها حركة دعاية لا اكثر ولا اقل ! ...

اما انيس منصور فقال : ان رفض سارتر هو موقف صائب مئـــة بالمئة من وجهة نظر فلسفته . فسارتر يؤمن اولا بانه حر ، وانه تبعـــا لذلك مسؤول عن كل فعل يقوم به ، وهو لا يريد من احد ان يشترك معه في تحمل مسؤولية افعاله . وقد اصاب عندما رفض ان يربط اسمـه باسم مؤسسة نوبل التي يدمغها ويدينها بانها وقفت دائما ضد فلسفات التحرر والتقدم .

مكتبـــة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا

احدث المطبـــوعات العـــربية ، وكـــذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .